

تفسير ابن كثير

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٌّ هَيْبَنٌ ^ط وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ^ج وَكَانَ أَمْرًا
مَّقْضِيًّا

(قال كذلك قال ربك هو علي هين) أي : فقال لها الملك مجيبا لها عما سألت : إن الله قد قال : إنه سيوجد منك غلاما ، وإن لم يكن لك بعل ولا توجد منك فاحشة ، فإنه على ما يشاء قادر ; ولهذا قال : (ولنجعله آية للناس) أي : دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم ، الذي نوع في خلقهم ، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى ، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر ، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه . وقوله : (ورحمة منا) أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبيا من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) [آل عمران : 45]

، 46 [أي : يدعو إلى عبادة الله ربه في مهده وكهولته . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ،
حدثنا عبد الرحيم بن إبراهيم - دحيم - حدثنا مروان ، حدثنا العلاء بن الحارث الكوفي ،
عن مجاهد قال : قالت مريم ، عليها السلام : كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو
في بطني وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر . وقوله : (وكان أمرا مقضيا) يحتمل
أن هذا من كلام جبريل لمريم ، يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره
ومشيئته . ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه
كنى بهذا عن النفخ في فرجها ، كما قال تعالى : (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها
فنفخنا فيه من روحنا) [التحريم : 12] وقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من
روحنا) [الأنبياء : 91] قال محمد بن إسحاق : (وكان أمرا مقضيا) أي : أن الله قد
عزم على هذا ، فليس منه بد ، واختار هذا أيضا ابن جرير في تفسيره ، ولم يحك غيره ،
والله أعلم .